

## سفوري

أردت السفور فلم أكتب فيه مع أنى قرأت كتب المرحوم قاسم بك أمين وأعجبت بها ولكن العادات لا تغيّر بالقول. وإذا حاول شخص تغيير قومه بأقوال منمقة قام عليه القوم واتهموه بما ليس فيه، وهكذا قام المصريون على المرحوم قاسم بك أمين واتهموه بكل شيء وقالوا إنه إنما يريد السفور إشباعاً لرغبته في المجون والعريضة.

ولو أنى قمت فناديت بما نادى به لانهت بما اتهم بل أمرّ منه لهذا عولت على أن أدعو إلى السفور بالعمل لا بالقول. وقد كان ملبسى لا يجعل محلاً للشك في استقامتى وتمسكى بالفضيلة الشرقية فكشف وجهى وكفى كان مطابقاً لما جاء في السنة والكتاب! ولهذا لم يستطع أحد أن يمس سمعتى بسوء.

ومن العجيب أنهم كانوا يسموننى حجابية متطرفة ولا أدرى لم كانت تلك التسمية وأنا سافرة الوجه؟ إنهم يظنون السفور مجوناً وفجوراً ولم يكن ملبسى يساعدهم على أن ينسبوا إلى ذلك بل كانوا يعتقدون أنى أكثر الشرقيات محافظة على الآداب الإسلامية. ولهذا لم يقل أحد عنى شيئاً مع أنى كنت المصرية الوحيدة التى أسفرت.

ألفت كتاب المرأة والعمل وتكلمت فيه عن جميع عادات المصريين ولكنى لم أفرد فيه باباً للسفور والحجاب بل قلت فى مقدمته إنى لا أتناول السفور والحجاب فى كتابى لأنى لا أرى حجاباً فأبحث فيه. فقرويات مصر سافرات أما المدينيات فعلى وجهن نقاب أبيض شفاف لا يستر من وجوههن إلا الحياء، وهو يزيدهن جمالاً وبهجة إذ يزيد الوجه بياضاً على بياضه الصناعى أما الخدود فتظهر تحت النقاب ورديتين يجللهما الندى، لهذا لا معنى للكلام فى شيء غير موجود وسيهتدى الناس فيما بعد إلى حقيقة الأمر. قلت ذلك ليفهمه من يعقل فقط. ومن يعقل من الناس لا ينتقد السفور. أما أغبياء القوم فلم يفهموا من كلامى شيئاً وهذا ما انتظرتة، فقد ظلوا يقولون عنى إنى حجابية متطرفة.

ومن غريب ما حدث أنى أقمت عندما فتحت مدرستى «ترقية الفتاة» بالإسكندرية حفلة مدرسية كنت استقبل فيها الزائرين سافرة الوجه وأسلم عليهم وأحييهم وأجلسهم فى أماكنهم، وكان بالحفلة مندوب لجريدة وفدية يقدر ما لقاسم بك من فضل وعبقرية. وقد أعجبه أن يكون فى تلك الحفلة ما يدل على أن غرس قاسم قد أثمر وأن تلك الحفلة كانت أول ثماره. لهذا طلب الرجل أن يلقي كلمة وسمحت له بها فقام يمتدح قاسماً ويثى على همته وذكائه وعبقريته، وفى الأسبوع التالى لتلك الحفلة قرأت فى إحدى المجلات الأسبوعية انتقاداً مرأً على ما قاله ذلك الكاتب فقد قالت إنه خرج عن حدود الأدب واللياقة فى مدرسة بنات هى أولى بالأدب ونشر الفضيلة، ثم قالت المجلة «إنها تعجب كل العجب كيف تصرح السيدة نبوية موسى الحجابية المتطرفة لهذا الكاتب المجونى بالكلام فى حفلتها»

قرأت ذلك ودهشت له. فقد كان مندوب تلك المجلة حاضراً فى الحفلة ورأى وأنا استقبل الناس سافرة، ومع ذلك يسمينى حجابية متطرفة لأنى فى نظره لم أكن ماجنة ولا متبرجة. عجبت من هذا المنطق فرأيت أنه من العبث أن أناقش عقليات كهذه، إذن لابد أن أخاطب أمثال هؤلاء بما يستطيعون أن يفهموه: فكتبت إليه أقول:

«إنى لست مسئولة إلا عما تقوله إحدى تلميذاتى أو ما أقوله أنا شخصياً، أما كلام غيرى فيسأل عنه قائله. فإن الإنسان لا يسأل إلا عما يقوله هو أو يكتبه، أما أن يأتية زائر فيطلب الكلمة فيصرح له بها وهو لا يعلمها فلا شأن له هو بما قال ذلك الزائر» ومع أن هذا القول لا يدل على أنى أخالف الخطيب فيما قاله فقد اتخذته تلك المجلة دليلاً ساطعاً على تمسكى الشديد بالحجاب.

فقلت فى العدد التالى «لقد صدقت السيدة نبوية موسى حسن ظننا فيها وعابت على الخطيب ما قاله. ونحن نشكر لها تمسكها بالعادات الشرقية ومن أهمها الحجاب».

وهكذا وفرت على نفسى ما كان سينالنى من فحش القول إن أنا كتبت فى الحجاب ودعوت إلى السفور. ولكنى مع ذلك أعطيت تلميذاتى مثلاً صادقاً للسفور الذى أريده، وهو ظهور المرأة سافرة ولكن فى منظر يدل على حشمتها ووقارها. فهى تخرج لعملها

سافرة حتى لا يعوقها الحجاب عن حسن تأدية ذلك العمل، ولكنها تظهر في ملابسها بمظهر الجد فلا زينة ولا تبرج، والوجه كما خلقه الله لا فتنة فيه. وإذا كان الله قد صنع فيه شيئاً من الفتنة فلا شأن لنا فيما صنع، وكان على البشر أن يعودوا إلى الخالق. على أن القرآن لم يأمرنا بالحجاب بل أمرنا بالابتعاد عن الزينة، فقال سبحانه وتعالى «وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين من زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن».

فأمر الله بستر الصدر لا بستر الوجه وهو موضع الحلى في الجاهلية. وقد أمر الدين الإسلامي المرأة أمراً صريحاً بكشف وجهها في ثلاثة أمور: الحج والخطبة والشهادة، ولم يأمرها صراحة بستره مطلقاً فلا معنى إذن لستر الوجه وفيه مضايقة كبيرة لمن يردن هذا العمل.

قابلتني في إدارة الأهرام يوماً أحد الكتاب الذين كانوا يكتبون الكتابة في مسألة الحجاب والحض عليه. وجعل يناقشني في آرائه وكان يعتقد كل الاعتقاد أنني متفقة معه ولكنه دهش لما قلت له: إنك يا سيدي من القرى وأمك وأختك وبنيت عمك يخرجن بزبي هذا أي بخمار لا يغطي إلا الرأس والصدر. فما هو الحجاب الذي تدعو المدينيات إليه؟ أتدعوهن إلى ذلك النقاب الشفاف الذي يزيد صبغة الوجوه ظهوراً وبهاء؟ قال كلا لا أريد ذلك. قلت أنت إذن تدعو إلى حجاب مجهول لم يره أحد؟ قال نعم أريد أن تضع المرأة فوق رأسها غطاءً كثيفاً يستر وجهها كله وفيه ثقبان لتنظر منهما قلت يا سبحان الله وماذا تفعل المسكينة إذا اضطرت للعمل؟ قال: يجب أن تضحي بكل شيء في سبيل منع الفتنة فإن في وجهها فتنة، قلت إنك يا سيدي تدعى أن الرجال أكثر عقلاً وحكمة من النساء وإذا كانت النساء لا يفتن بوجوهكم أنتم وفيكم الجميل ولا شك فكيف تفتنون أنتم بوجوههن وأنتم أكثر عقلاً وإدراكاً؟ لقد كان الواجب أن تتقنوا أنتم وأن تسفر النساء، ما دام فيكم من العقل ما يمنعكم من الفتنة. أما هن فلا عقل لهن ولا إدراك.

ألمه هذا القول مني وأراد أن يؤلني فقال: إذا كانت النساء في خلقتك فلا بأس من السفر. وظن بذلك أنه أغاظني فقلت له ضاحكة: يا شيخ انطق، وهذا ما أريده،

النساء في شكلن يسفرن والرجال في جمالك يجب أن يتقنوا أي أنك من تضع من الغد على وجهك شوالاً فيه ثقبان وسأهنئك بتلك النتيجة.

وحدث أن قابلتني إحدى السيدات في الترام فقالت لي في دهشة: أمسيحية أنت؟ قلت كلا إنني مسلمة. قالت: وكيف تكشفين عن وجهك؟ فنظرت إليها ضاحكة وقلت وهل سترت أنت وجهك بذلك النقاب الشفاف؟.. إنني أرى ملامحك واضحة حتى أنني أستطيع أن أعد أسنانك المذهبة. وليت الأمر اقتصر عند هذا الحد فكشفت عن وجهك فقط كما أكشف أنا، بل لقد تجاوزت يا سيدتي الحد وكشفت عن صدرك إلى آخره فأنا أرى في صدرك ما لا يجوز لي أن أراه كما أرى ذراعيك إلى نهايتهما أما أنت فلا ترين إلا وجهي فما معنى انتقادك إذن؟

عجبت المرأة من جوابي هذا وقالت لقد صدقت فأنا أقرب إلى النصارى منك. وهكذا أيدت السفور عملياً لا بالقول وكنت أعلم أن في التعليم ما يفى بالفرض الذي أريده دون نقاش أو مجادلة. ولقد صدق ما كنت أتوهمه وأسفرت نساء مصر الآن. حتى أصبح الرجال يطعمون على عقلية المحجبات. نعم تم ما كنت أرجوه ولكن على شكل لم أكن أريده فقد سحب ذلك السفور تبرج معيب كنت أرياً بفاضلات المصريات عن أن يتدهورن إليه خصوصاً المتعلمات منهن ولكن ما يدرينا فلعلها مرحلة انتقال، تنتقل منها إلى السفور الكامل المحتشم.

## دخولى البكالوريا

تعيّنت كما قدمت معلّمة بمدرسة عباس الأميرية بمرتب ست جنهيات بينما كان مرتب خريجي المعلمين العليا من الرجال اثني عشر جنهياً شهرياً. فساءنى أن تعاملنا الحكومة ونحن نعمل معاملة الوراثة أى نصف الرجل. لا أنكر أن الوراثة قد تكون على حق لأنها ليست من مجهود أحد، أما أن تعمل الفتاة ما يعمل الرجل ثم تتناول نصف مرتبه فهذا ما لا يعقل. لهذا ثارت ثائرتى.

لقد كنت أدرس كما يدرس الفتى، ولم يكن للحكومة مدارس ثانوية كثيرة. فكان جميعاً ندرّس للمدارس الابتدائية، فلماذا تميزه الوزارة عنى لا بجنيه ولا بجنيهين بل بضعف مرتبى؟ لقد كنت أعمل جاهدة فى أن تساوى المرأة بالرجل فى الوظائف وفى كل شىء وكان رأيى كما قدمت أن أصل إلى تقرير ما أريده بالعمل لا بالقول. فقد قررت السفر لا بمقالات منمقة وآراء شيقة بل بخروجى سافرة. إذن لم لا أقرر المساواة بين الفتاة والفتى فى التوظيف لا بشيق المقالات ولكن بالعمل الذى لا يقبل الجدل ولهذا طلبت من الوزارة أن تسوى بيننا وبين الرجال فى المرتب، فأجابتنى الوزارة بأنى وزميلاتى لم نئل شهادة البكالوريا، وإن كنا قد تعلمنا من فنون التربية والتهديب ما تعلمه طلبة مدارس المعلمين العليا حرفياً ولكننا مع ذلك نتقصنا الثقافة العامة، ولهذا لا يمكن مساواتنا بهم قلت لقد عملت من طرق التربية ما لم يتعلمه الرجال، وإذا كان ما ينقصنى عنهم هو مرحلة الثقافة العامة أى نيل شهادة البكالوريا فإنى سأدخلها وسأنجح فيها حتى لا أترك لوزارة المعارف عذراً فى عدم مساواتى بالرجال.

اطلعت من ذلك اليوم على منهج البكالوريا وملأت استمارة دخول امتحان البكالوريا فى الميعاد الذى حددته وزارة المعارف وأرسلتها إلى الوزارة. فضج رجال الوزارة لهذا الحادث، وكان حديثهم فى روحاتهم وغدواتهم. واستعظموا على فتاة لم تتعلم فى

مدرسة ثانوية أن تدخل الامتحان وهى لم تستعد له. فجاءنى المستر دانلوب فى مدرسة عباس وبيده استمارة التحاقى بالامتحان. قدمها إلى وهو يضحك وقال: يبدو لى أنك لم تقرأى منهج البكالوريا ولو أنك قرأت ذلك المنهج لما أقدمت على إرسال طلبك هذا. قلت: كلا لقد قرأته وكدت أنتهى من دراسته. قال إنك وأهمة فاستمعى لنصحى واسحبى هذا الطلب ولا ترسله مرة أخرى، اللهم إلا إذا وعدتنى بأنك ستتجحين، قلت: وهل وعدك أحد ممن تقدموا لهذا الامتحان بنجاحه فيه قبل دخوله؟ قال: ولكنك تلميذتى ويهمنى أمرى. قلت إن الكل تلاميذك يا سيدى ولا بد أن يهكم أمرهم بمقدار ما يهكم أمرى. قال: إذن فاعلمى بأنك إذا رسبت فستتحط منزلتك فى نظرى. قلت: إنى والحمد لله فوق الخادمت مباشرة ولا تستطيع أنت ولا غيرك أن تعتبرنى خادمة أى إنى أقف اليوم على الأرض وليس فى وسعك أن تحفر تحت أقدامى فمكانتى فى التوظيف لا تحتل النقصان. قال: إنك عنيدة ولكنى أكرر لك النصح فى أن تسحبى طلبك هذا وأن لا ترسله إلى الوزارة. ثم خرج دون أن يترك لى وقتاً للإجابة على ما قال. وما كاد يصل إلى الوزارة حتى كان طلبى فى إثره!!

ضجت الوزارة كلها واعتبروا ذلك حادث العام ولم يعد فى الطلبة المتقدمين إلى البكالوريا حديث إلا أن لهم زميلة من الجنس اللطيف وقد كانوا يجهلون تلك الزميلة طبعاً فأخذوا ينقلون عنها ما يشاؤون. فاعتبروها من أجمل ذلك الجنس وألطفه وأنها ما تقدمت إلى ذلك الامتحان إلا لتظهر دلالها وجمالها. وجاء وقت الامتحان وأعدت لى الوزارة لجنة خاصة فى المدرسة السنية. أما باقى الطلبة فكانوا يمتحنون فى لجان فى بناء الوزارة بدرب الجماميز وهو البناء الذى لا يزال إلى الآن مشغولاً بمخازن الوزارة. وكنت أخذ ترام السنية من مدرسة عباس فيمر بى على السنية ومنها إلى درب الجماميز فكان الطلبة القاطنون فى السبتية وفيما يجاورها يركبون معى فى نفس الترام ولم يكن فى الترام ديوان خاص بالسيدات. وكان المرحوم شقيقى يصحبنى فى ذهابى وإيابى فكاننا نجلس فى آخر عربة حتى لا تتجه أنظار الطلبة إلى. وكانت أحاديثهم تنصب على أم رأسى. فمنهم من أقسم على ضربها عند فشلها وسقوطها فى الامتحان وكانوا يقولون إن سقوطها محتم لا شك فيه وما دخلت الامتحان إلا لتبدي

جمالها وتبرجها. كل ذلك وهم لم يعيروني أى التفات لأنى لم أكن الشخصية التى كانوا يتخيلونها إذ كانوا يتخيلون فتاة لعوباً متبرجة. أما تلك التى كانت تجلس فى آخر الترام فقد كانت فتاة محتشمة لم يكن يشك أحد فى أنها لا تعرف القراءة. وكان أخى إذا سمع حديثهم عنى تبسم ونظر إلى فكنت أحترس أن لا أجيء على ابتسامته بمثلها وكنت أجتهد فى أن أنزل من الترام قبل المدرسة السنية بمحطة وأدخلها من بابها الخلفى لأنى كنت أعلم أن كثيراً من الطلبة يتجمعون أمام بابها لرؤيتى. وهذا ما كنت أفعله عند الخروج.

أما اللجنة التى كانت تراقبني أثناء الامتحان فقد كانت لجنة كاملة أى مكونة من ثلاثة أشخاص فرنسى وإنجليزيتين إحداهما ناظرة مدرسة السنية أى صديقتى المعروفة... فكانت كلما دخلت الامتحان وخرجت منه تحيىنى بعبارات التائب أو السخرية كقولها إنك مغرورة، ولا شك أنك ستترسبين أو ما الذى حملك على التقديم وتكليفنا إعداد لجنة خاصة لك؟ وقد كنت أجيئها على تحياتها هذه بابتسامات تشف عما فى قلبى لحضرتها من الحب المكين... وكانت الغرفة التى أمتحن فيها واسعة جداً إذ كانت معدة لامتحان طالبات السنية بأجمعهن وكنت أجلس فى وسطها، وكان هذا يبعثنى عن صديقتى الناظرة بمسافة تجعلنى لا أتمتع برؤية وجهها رؤية دقيقة. وكان المراقب الفرنسى رجل لطيف فكان إذا مرَّ بى أشار بيده إلى تعليمات كانت على رأس ورقة الامتحان وهى «لا تلتفت يمينا ولا شمالاً ولا تشير إلى أحد ممن بجانبك أية إشارة» كان يشير إلى تلك التعليمات قائلاً يجب عليك تنفيذها. وهو بالطبع كان يعلم أنها منفذة بطبيعة الحال لأنه لم يكن بجانبى أحد.

وكانت تعليمات الامتحان تقضى أن لا نحضر معنا من أدوات الكتابة شيئاً فكانت تعطى لى الريشة التى أكتب بها وحدث فى امتحان الهندسة أن كان سن الريشة مكسوراً فلم أستطع الرسم بها وصرت كلما رفعت يدي حضرت إلى صديقتى ناظرة السنية ورفضت رفضاً باتاً أن تعطى ريشة غير الريشة التى أمامى وضقت ذرعاً بتصرفها هذا. فتظاهرت بالكتابة وبالامتناع عن طلب ريشة جديدة ثم قمت فجأة أسير بسرعة نحو المراقب الفرنسى فما كادت تلحق بى إلا ونحن الاثنان أمامه فعرضت

عليه الريشة وطلبت منه تغييرها فوافقنى على هذا الطلب ولكنها عارضته وبقيت معه فى جدال ونقاش نحو ربع الساعة وأخيراً انتصر الرجل وأتانى بريشة جديدة.

وأخر أيام الامتحان جاءنى مستر دانلوب فقال لى: أظنن أنك ناجحة؟ قلت: نعم أظن ذلك. قال: حسناً صدق الله ظنك وخرج. وهنا تناولتى الناظرة وأخذت تعتب على كيف أجيئه بالإيجاب وماذا يكون موقفى إذا أنا رسبت فقلت لها: إنى لم أدع النبوة ولا الإخبار بما فى الغيب، وكل ما قلت له إنى أظن أنى ناجحة ولا عيب على إذا كان ظنى هذا غير صادق، فكثيراً ما يظن الإنسان غير ما يحدث ولا حرج عليه فيما يظن.

ظهرت النتيجة وكنت من بين الناجحين وترتيبى على ما اعتقد ٤٣ من مائتين. وكان لهذا النبأ وقع حسن بين موظفى وزارة المعارف وبين زملائى الطلبة. وكان ذلك سنة ١٩٠٧ ولم يكن لى بالطبع زميلات ولم تتجج مصرية فى امتحان البكالوريا إلا فى سنة ١٩٢٨. لهذا كان النبأ عظيماً فنشرته الصحف بعناوين ضخمة بينط كبير مثل «أول ناجحة من المصريات فى البكالوريا» أو «مصرية تفوز بنيل شهادة البكالوريا» أو «تفوق المصريات» ولو أنى إذ ذاك فتحت فرنسا لما كان لاسمى رنة أشد مما كان له على إثر نيل تلك الشهادة العظيمة أى شهادة البكالوريا.

اهتم المصححون بهذا النبأ ويظهر أنهم خشوا أن يظن أحد أن نبوية هذا رجل فأرادوا أن يضعوا على هذا الاسم عنواناً يمنع الشبهة فكتبوا الست نبوية وأرسلوا إلى مدرسة عباس تلفرافاً يهنئون الناظرة بنجاح معلمتها كما أرسلوا إلى صديقتى العتيذة ناظرة المدرسة السنية تلفرافاً يهنئونها بنجاح إحدى طالباتها. وهنا نسيت مس جونسون الحقد القديم ويظهر أنها عطفت على. وكنا فى ذلك الوقت لا ندخل الامتحان الشفوى إلا إذا نجحنا فى التحريرى.

ظهرت نتيجة التحريرى وجئت للامتحان الشفوى فى المدرسة السنية أيضاً وما كاد يقع نظر الناظرة على حتى ضمتنى إلى صدرها وقبلتني قبالات عديدة وشكرتني لأنى رفعت رأسها عالياً.

أما المفتشون الذين جاءوا لامتحان الشفوى فقد أحضروا لى معهم هدية ثمينة من الكتب الفرنسية. وكنت واثقة بالطبع أنى سأنجح فى الامتحان الشفوى إذ ليس من

المعقول أن تتقدم طالبة واحدة في هذا الامتحان وتتجح في التحريرى ثم يذهب الذوق بالمتحنيين إلى إسقاطها في الشفوى لهذا كنت واثقة كل الوثوق من نجاحى فى الشفوى. كنت قد تعلمت اللغة الفرنسية فى المنزل ومن الكتب وكنت أعرف كيف أقرأ ولكنى لم أكن متأكدة أنى أفهم تلك اللغة إذا خوطبت بها، ولهذا دخلت باسمه وقد أعددت هذا الابتسام لأجيب عليه بكلمات قد حفظتها. وكانت اللغة الفرنسية إضافية لا أساسية.

وتم ما أردته وسألنى الممتحن عن سبب ضحكى. فقلت له فى شىء من الدعابة: إنى أضحك لأنى أعلم أنك لا تعلم إلا الفرنسية التى لا أعرف أنا شيئاً منها ولهذا أضحك على كيفية تخاطبنا. قلت ذلك بالفرنسية طبعاً. وقد سر الرجل بهذا. وحادثنى محادثة استطعت فهمها وأعطانى درجة لم أكن أحلم بالحصول عليها.

أما فى اللغة العربية فلم ينس المرحوم الشيخ حمزة فتح الله أن يتحبنى بأسئلته الممتازة إذ ذاك كوزن «أكون» وهو كما لا يخفى على سيدى القارئ «كن» فنقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها فتحرك بالضم وحذفت الواو لالتقاء الساكنين أى النون والواو ثم حذفت همزة الوصل لعدم الحاجة إليها إذ جئى بها للتوصل إلى الساكن فى الأفعال الأخرى كاعلم وانصت، أما هنا فقد تحرك أول الفعل فلا حاجة إلى همزة الوصل. وعذراً أيها القارئ إذا ألقينا عليك درساً من نماذج دروس العربى الماضية.

## أثر حصولى على البكالوريا ومذهبى فى الزواج

قدمت فيما مضى كيف حصلت على البكالوريا مع البنين وكيف كان لهذا النبأ دوى اخترق البلاد من أقصاها إلى أقصاها وقامت له الصحف وقعدت فكنت إذا كتبت مقالة إلى صحيفة نشرتها لى فى الصدر تحت عناوين كبيرة. وما كاد يمضى على ذلك شهر حتى وصلنى خطاب من مأمور فى السودان مرسل إلى نبوية موسى بالمدرسة السننية مع إن نبوية موسى كانت معلمة فى مدرسة عباس للبنات ولكن هذا المأمور لا يعرف عن نبوية موسى شيئاً سوى أنها نجحت فى البكالوريا ولهذا استنتج أن تكون تلميذة فى المدرسة السننية.

وصلنى الخطاب وكان الرجل أديباً لبقاً فى كتابته وقد قال فى خطابه إنه رجل مؤدب وأنه لم يخاطبنى ليخرج عن حدود الآداب الشرقية ولكنه يريد أن يتزوجنى وهو لا يعرف عنوان ولى أمرى ولا من هو، لهذا اضطر أن يكتب لى لأن كتاباتى قريبة جداً من نفسه ورجانى أن أدله على ولى أمرى ليخاطبه فى أمر الزواج.

أعجبنى أدب الرجل واستقامته وراقنى أسلوبه العالى فى الكتابة ولو أنى كنت أميل إلى الزواج لما تأخرت فى قبول ما طلب ولكنى وأنا أكره الزواج واعتبره قذارة وقد صممت أن لا ألوث نفسى بتلك القذارة فلا مندوحة لى عن رفض طلبه.

عرضت الخطاب على المرحوم شقيقى وطلبت منه أن يكتب إليه بالرفض وأن يتلطف فلا يؤلم الرجل وقد اقترحت عليه أن يقول له: إنك لو رأيت أختى لما تقدمت إليها لأنها دميمة الخلقة ولا أظنك تقبلها ولهذا أرجوك أن تتقبل تحياتى وأن تعدل عما انتويته وساكون صديقك إلى الأبد. ومع أن ذلك الكلام لم يكن من رأى أخى فقد كتبه مضطراً.

وبعد ثلاثة أيام أو أربعة على الأكثر وصل أخى خطاب من الخطيب يقول فيه إنه لا

يعبأ بالشكل وأنه يحب روجي لقربها من روحه وسيحب صاحبة تلك المقالات التي قرأها مهما كان شكلها بل سيحلوا له أن يراها. قرأ أخى الخطاب وقال: الآن لا عذر لك فالرجل يقبلك على أى شكل أنت عليه وأنا بصفتي ولى أمرك أريد أن تتزوجى ذلك الرجل. وطال بيننا الشجار والأخذ والرد إلى حد كاد أن يخاطبني معه بغير الكلام لولا أن تلك لم تكن عادته. وفي ذلك الوقت دخل قريب والدتي مصطفى افندى عبد الرازق وسأله عن خبر هذا النزاع. قال أخى إنها ترفض الزواج من رجل سبق أن كتبت له أنا شبه وعد. قلت: ولكنك غير محق في وعدك هذا، والرجل الذى تقترح زواجي به يتناول ٢٤ جنيهاً شهرياً وأنا كما تعلم لا أحب الزواج فإذا قبلت قذارته كان يجب أن يفريني المركز الجديد الذى سأكون فيه بعد ذلك الزواج ومرتبى الآن ١٢ جنيهاً فإذا شئت أن تبقى حالتى المالية كما هى وجب أن يكون مرتب ذلك الزوج ٤٨ جنيهاً ١٢ جنيهاً لى و١٢ جنيهاً له و٢٤ جنيهاً للأولاد، فكيف أقبل أنا الزواج على بغضى له ثم أقبل معه انخفاض مستوى معيشتى وهذا ما لا يعقل؟

انتصر لى مصطفى افندى. وقال: لقد صدقت. قال أخى: ومعنى هذا أنها لن تتزوج ومن ذا الذى يقبل زواجها ومرتبته يبلغ ذلك المقدار الذى تطمع هى فيه؟ قلت: وهذا كل ما أريده أن تقف طلباتى هذه حجر عثرة فى سبيل الزواج.

اضطر أخى أن ينزل على إرادتنا أى إرادتى وإرادة مصطفى افندى ولكنه كان مكرهاً. قال: إذن سأكتب للرجل ويجوز أن الله أراد له الخير بذلك الرفض. أمسك القلم وأخذ يقرأ ما يكتبه بصوت عال. قال: تحية وسلاماً وعذراً أيها الصديق إذا أنا أخبرتك فى خطابى السابق بدمامة خلقة شقيقتى فقط ولكنى نسيت أن أقول لك إنها فوق ذلك قليلة الأدب متكبرة متغترسة لا يطيق الإنسان أن يعاشرها يوماً واحداً وأنا كصديق أنصحك أن لا تعاودنى فى أمرها ولا أخفى عليك أنها تتكبر على أمثالى وأمثالك فلا تذكرها لى مرة أخرى.

أخذ يقرأ ذلك الخطاب بصوت عال ليغيظنى ولكنى كنت أضحك مقهمة وأقول: إن هذا خير ما يكتب فى مثل هذا الموقف وكان الرجل قد أرسل مع الخطاب هدية فرددناها إليه.

وفى سنة ١٩١٤ كنت ناظرة لمدرسة معلمات المنصورة فجاءنى رجل بخطاب كتبه لى ذلك المأمور يرجونى فيه أن أقبل ابنة ذلك الرجل بالمدرسة الابتدائية مجاناً وقال فى خطابه إنه تزوج وأنه رزق أولاداً وأنه مسرور جداً بأسرته الجديدة وكأنه يريد أن يقول لى على رأى مثلنا العام (بركة يا جامع اللى جت منك).

عرفت من هذا أن الرجل لا يزال متألماً من الحادثة وكنت أخجل أن أذكر مسألة خطبة أو زواج أمام رجل فنظرت إلى قريبه الذى أتى بذلك الخطاب وقلت له: هل تعلم من أين يعرفنى قريبك هذا؟ قال: نعم إنى أعرف القصة. قلت: أرجوك أن تخبره أنى لم أرفضه احتقاراً لشأنه أو لأى عيب فيه ولو أنى كنت أنتوى الزواج لما تزوجت بأفضل منه ولكنى لاعتبارات شخصية أرفض هذا الزواج، ولكى أشرح لك موقفى أقول إنى لو كنت قد قبلت ما عرضه على لكنت الآن تحت أمره أطلب منه الرضا والعطف أما الآن بعد رفضى فهو الذى يطلب منى أن أعطف عليه وعلى أقاربه وأنا لأجل خاطره سأدخل ابنتك بالمجانة فى مدرستى. ولو أنى كنت أخاطب الرجال لكتبت إليه الرد على خطابه هذا ولكنى آليت أن لا أفعل فأرجوك أن ترد عليه أنت وأن تخبره بما قلته لك.

لقد بنيت رفضى على رأى اعتمده منذ طفولتى وهو ألا أتزوج لأنى على ما أتذكر لم أكن طفلة بالمعنى الصحيح أجهل ما يحيط بى ولكنى كنت أعلم ما بين الرجل والمرأة مع أنه لم يكن فى منزلنا رجل ولكن يظهر لى أن الأمر غريزة طبيعية أو أنى كنت أعلم بالإشارة أو بما أراه من الحيوانات، كنت أعلم ذلك تمام العلم وأرى أنه قذارة خصوصاً نصيب المرأة فيه، فكنت أنفر منه وربما ترجع مسألة خروجى من المنزل فى سن الثالثة عشر والتحاقى بالمدرسة إلى كرهى لهذا الأمر لأنى لو بقيت بلا عمل لما استطعت أن أبقى أيضاً بلا زواج وليس لى من الأملاك ما يقوم بسد حاجتى. لهذا انصرفت عن الزواج بتاتاً ثم شاء الله أن تزداد فكرتى رسوخاً ووضوحاً فسمعت رجلاً يتشاجر مع امرأة على قارعة الطريق، ويقول لها ما معناه: امرأة مثلك، أفضى فى جوفها حاجتى تتجرأ أن تكلمنى بما تقولين؟ شرحت لى تلك الكلمة ما هناك وكرهت أن يقف منى رجل ذلك الموقف القذر المريع لهذا كنت أكره أن أسمع الزواج فى شبابى، أما بعد أن كبرت فقد أصبح مجرد هذا الاقتراح سبة لا يشتمنى أحد بأقبح منها.

وعلى ذكر تلك الخطوبة أقول إنى خطبت بعد ذلك مرتين سأذكرهما هنا على سبيل ذكر أشياء وقعت لى فى حياتى.

كانت تلك الخطوبة الأولى فى سنة ١٩٠٧ كما قدمت وفى سنة ١٩١٣ كنت ناظرة لمدرسة معلمات المنصورة وكنت ألقى محاضرات فى الجامعة المصرية كانت تكتب فى جميع الصحف فوصلنى خطاب من أحد المهندسين يقول فيه إنه معجب بمقالاتى وإنه يطلب من الله أن يكثر من أمثالى فى الأمة المصرية.

لم يكن الرجل فى طبقة الخطيب الأول من الكتابة فلم يقع كلامه من قلبى موقعاً حسناً على أنه لم يقل شيئاً صراحاً بل أكثر فى مدحى وقد أرسل لى طى خطابه صورة فوتوغرافية له.

وقد فهمت من تلك الصورة ما كان يرمى إليه فى طيات كلامه وشاء الله أن يكون شقيقى ضيفاً عندى فى ذلك اليوم ففضضت الخطاب وبعد أن قرأته قذفت به شقيقى فى ضحك وقلت له:

لو لم يكن هذا الرجل مؤدباً فى الكلام لعاقبته بإرسال صورتي إليه..! أما وهو مؤدب فلا معنى إذن لذلك العقاب. وقع الخطاب والصورة على أرض الغرفة ولم أعرفهما بعد ذلك أية التفاتة حتى أنى نسيت اسم الرجل أو قل إنى لم أقرأ إمضاءه.

وبعد أيام من ذلك الحادث جاءنى البواب يقول لى أن محمد أفندى حافظ يطلب مقابلتى. وكان لى خال بهذا الاسم فظننت أنه خالى أتى من القاهرة ليرانى فى المنصورة فقلت للبواب أن يدخله بسرعة وقمت له ضاحكة لأقابل ذلك الخال وما كدت أراه حتى استولت على الدهشة لأنى عرفت أنه صاحب الصورة التى أرسلت لى الخطاب السابق وعلى كل حال فقد اضطررت أن أحبيه وأن أجلس معه.

عرفت بالطبع ما جاء به وما يريد أن يطلبه وأردت أن أمنعه من ذلك فقلت له لقد وصلنى خطابك وليس لى أى انتقاد عليه لأنك كنت فيه مؤدباً وأنى مستعدة أن أساعدك فى كل ما تطلبه منى إذا كنت تريد إدخال بناتك بالمجانة فى مدرستى هذه وسأساعدك بكل ما أستطيع.

احتار الرجل فى أمره وقال متلعثماً: ولكنى لا أسرة لى وقد جئت اليوم من أجل

ذلك فقاطعته قائلة: إسمع يا بنى لقد صممت منذ كنت فى سنك على أن لا أتزوج فإذا كنت أنت اليوم لم تتزوج فأنصحك أن لا تفعل! فدهش الرجل من تلك المفاجأة وقد كان أكبر منى سنأ أى كان فى سن المرحوم أختى.

فلم تدخل عليه الحيلة وقال: لست بابنك أولاً وثانياً أسمح لى أن أسألك: لم صممت على عدم الزواج؟ ضايقتنى تلك الجرأة منه وقلت له: إنك لم ترنى إلا اليوم ومع ذلك تسألنى عن أمره من أخص خصائصى وما كان لك ولا لغيرك أن يتدخل فيه، مع هذا فسأشبع حب الاستطلاع فى غريزتك وأقول لك أنى قد صممت على عدم الزواج لأنى لا أحب الرجال ولا أحب أن انحط فى معيشتى بل لو أنى تزوجت وأنا اليوم أتناول مرتباً قدره ٢٤ جنيهاً كان يجب على أن لا أقبل إلا رجلاً مرتبه ٩٦ جنيهاً ٢٤ جنيهاً لى و٢٤ جنيهاً له و٤٨ جنيهاً للأطفال ومثل هذا الرجل ما أظنه يطلب الزواج منى. قال الرجل: وما المانع من أن تتزوجى وأنت فى وظيفتك؟ قلت: عفواً يا سيدى فقد قلت لك إنى أكره الرجال فما معنى أن أقبل القرب من رجل وأنا لا أزال أعمل؟ وما فائدة ذلك الرجل وما قيمته فى حياتى؟ قلت ذلك وانتصبت واقفة واعتذرت إليه بأن لى درساً سألقيه الآن وأن فى استطاعته أن يمكث مع معلمى مدرستى فى غرفتهم إذا شاء.

فخرج الرجل من عندى لا أدري مودعاً بماذا، ولكنى استدعيت البواب فى الحال وقلت له: إذا جاءك هذا الرجل مرة أخرى قل له إنى غير موجودة وإياك أن تدخله عندى مرة ثانية أو تطلب منى حتى السماح له. وبعد أيام جاءنى خطاب منه يقول لى فيه: بالرغم من أنك تدعين أنك أكبر منى سنأ وأنك لا أمل للرجال فيك لدمامتك فإنى شخصياً أرى فيك غير ذلك. قرأت الخطاب ومزقته، وقلت: سبحان الله... من أخذ رأيه فى هذه الأمور وما الذى يهمنى من رأيه فى؟ إن رأى فيه وفى كل رجل أن لا أتزوج. ولا ثانى لهذا الرأى عندى.

هذه هى الخطوبة الثانية: أما الثالثة فقد دلت والحمد لله على أننا نحن السيدات كالعبيد كلما كبرنا رخص ثمننا.

كنت ناظرة مدرسة المعلمات بالإسكندرية فى سنة ١٩١٩ على ما أتذكر أى بعد

## إحلال النساء محل الرجال

(فى الوظائف ونتائجها السيئة على شخصى الضعيف)

كانت كل أمنيتى من دخول امتحان البكالوريا أن أكون كالرجال فى درجات الوظائف. وقد كان. فقد أعطتلى الوزارة مرتباً قدره ١٢ جنيهاً كخريجي مدرسة المعلمين العليا.

ولهذه المناسبة الطريفة أقول أن مرتب خريجي دار العلوم العليا فى ذلك الوقت كان ستة جنيهات فقط وكان مرتبى ضعف مرتب المعلم من دار العلوم. وقد شاء الله أن تتسى وزارة المعارف قراراتها القديمة وأن تعتبرنى الآن من معلمات السنية ويظهر أن للكبير أثراً. وعلى هذا الاعتبار المعكوس الذى لا أفهم معناه كانت تعطينى الوزارة ببارك الله فيها إعانة شهرية مقدارها أربعة جنيهات! وسبحان مغير الأحوال. والظاهر أن ما نقصه خريجو دار العلوم من المعلومات فى عصرهم الحالى زادوا به مالاً ولله فى خلقه شئون.

كانت الوزارة فى ذلك الوقت تريد إحلال الأنسات محل الرجال فى وظائف التعليم بمدارس البنات ورفض المرحوم الشيخ حمزة فتح الله أن يسمح لفتاة بتدريس اللغة العربية التى كان هو زعيمها حتى إذا تخرجن سمح لى بذلك.

قام رجال دار العلوم وقعدوا لذلك النبأ الغريب فى نظرهم وساءهم جداً أن تدرس فتاة اللغة العربية للسنة الرابعة وهم أصحاب امتياز تلك اللغة وكانوا فى ذلك الوقت لا يسمحون لأحد أن يسمح لنفسه بما احتكروه لأنفسهم من تدريس اللغة العربية مهما كانت الظروف. ومن هنا أخذ اسم نبوية موسى يظهر لا بالذكرى الحميدة والحمد لله ولكن بالذكرى السيئة فسمونى هادمة بيوت الرجال وقاطعة أرزاقهم وغير ذلك من الألقاب التى أسبغوها علىّ وكانوا يتحينون الفرص للإيقاع بى. فكنت إذا درست أخذوا يسترقون السمع ويدونون ما أقوله وما أعطيه لتلميذاتى فينتقدونه ويذهبون إلى الناظرة فيبalfون فى ذلك الانتقاد ولكنها كانت تعرض عنهم فى السنة الأولى من

الحادثة الثانية بست سنوات فوصلنى خطاب قد كتب فيه كاتبه ما يربو على ٧ صفحات. أخذت أقرأ "ويلت الرجل ويعجن كما يقولون" ويصف لى حاله وعمره ومرتبته وهو والحمد لله ستة جنيهات وهو أيضاً كمسارى على ما أظن فى السكة الحديد. حسبت وهو يشرح لى هذا إنه يشكو لى ضيق حاله وإنه يطلب منى المعونة كما كان الكثيرون يفعلون ذلك، ولكن كم كانت دهشتى شديدة عندما قال فى خطابه "إنى إذا حادثت رجلاً دقيقة أو دقيقتين أتجرأ على الكلام معه وأنا الآن قد كتبت لك ما يزيد على ست صفحات وإذن أصارحك برأى بكل شجاعة وجرأة وهو أنى أريد الزواج منك ولا أريد أن أرجع لأهلك فى هذا الموضوع لأنى أسير على تعاليم المدنية الحديثة". عجبت حقيقة من تلك الجرأة ومن ذلك المنطق المعتل الخاطيء كيف يجروء علىّ بذلك الكلام لا لسبب سوى أنه كتب لى ست صفحات، هل كنت أنا حاضرة عند كتابة ذلك حتى يعد سكوتى على تلك الكتابة مبرراً لجرأته علىّ؟ حقاً إنه منطق عجيب خصوصاً وقد حدد لى ٢٤ ساعة إبداء رأى فى الموضوع!

كنت فى ذلك الوقت لا أرفض الزواج فحسب بل أعد طلب الزواج ممن كانت فى سنى جريمة أو إهانة تلحق بى لا يفلسها إلا الدم. غضبت لهذا وأردت أن أنتقم منه، وفكرت فى حيلة لذلك الانتقام. وقلت: أرسل إليه خطاباً مع خادمى أقول فيه أنى قبلت ما عرضه علىّ وإذا قبل هذا أرسلته إلى منزل أحد أقاربى فاعقد خطبته على امرأة غسالة كانت بالمدرسة واسمها فاطمة ولا بأس فنبوية تكتب فى شهادة الميلاد فاطمة النبوية حتى إذا تمت الحيلة ودخل على صاحبه عرفته مقدار مدينته الحديثة من طلب الزواج من امرأة لم يرها. وهنأته بالزيجة الخيرة المباركة.

دققت الجرس للساعى فحضر ووقف بعد أن كتبت جواب الرضا وأردت أن أسلمه إليه ولكن عز على نفسى أن يذهب الساعى إليه بذلك الجواب فيفهم منه أنى قبلت الزواج منه وهى سبة لست أرضى أن يظنها خادمى ولو ريع ساعة فترددت فى الأمر ثم نظرت إلى الساعى وقلت له: أخرج!

وقد انتقمتم لا منه، بل من خطابه فمزقته إرباً واكتفيت بهذا! وهكذا أنا والحمد لله لا أنتقم من ضعيف.



مباشرتي العمل.

كنت في ذلك الوقت أكتب في صحيفة يومية اسمها "مصر الفتاة" تحت اسم مستعار اتخذته لنفسى وهو "ضمير حر في جسم رقيق" وقد أردت بكلمة رقيق المعنيين رقيق، أى نحيف دقيق وقد كان هذا من صفاتى، ورقيق أى مستعبد وقد كان هذا ولا شك من صفة كل مصرى يباشر التعليم.

ذهب معلمو اللغة العربية إلى الناظرة وأحضروا لها عدداً وافراً من نسخ "مصر الفتاة" وأطلعوها على المقالات وأدعوا أنى إنما أنتقد فيها السياسة الإنجليزية. وبذا استطاعوا أن يصلوا إلى قلبها بعد أن كان مغلقاً فى وجوههم.

أصفت الناظرة إليهم أخيراً فقلبت لى ظهر المحن. فأرادت فى أول الأمر أن تنتقم منى بتوصيل انتقاداتهم إلى الوزارة فدعنتى إلى مكتبها. وكان إلى جانبها أحد معلمى اللغة العربية بالمدرسة أى مدرسة عباس الأميرية، وقالت لى إن الأستاذ غير راض عن طريقة تدريسك فأرجو أن تستمعى إلى نصائحه وأن تعملى بها. قالت لى ذلك باللغة الإنجليزية. وكأنه كان بينها وبين الأستاذ اتفاق من قبل فاندفع هو يسمعى نصائحه الغالية فقلت لها بالإنجليزية أيضاً غير عابئة بما كان يقوله الأستاذ: إنى لا أعمل برأى أحد هنا إلا برأىك أنت ناظرة المدرسة، وأنت لا تستطيعين أن تعطينى آراءك فى تدريس اللغة العربية، لأنك والحمد لله تلميذتى فى تلك اللغة فأنا أدرسها لك. وقد كانت الحكومة انتدبتى لتدريس اللغة العربية للمعلمات الإنجليزيات لأنى أستطيع تفهيمهن اللغة العربية أكثر من الشيوخ إذ أشرح لهن ما يصعب عليهن من العبارات باللغة الإنجليزية. أما الشيوخ فكانوا لجهلهم اللغة الإنجليزية يستعملون الأيدى والأرجل فى تفسير العبارات الغامضة وهم والحمد لله لا يحسنون الإشارة.

قلت لها ذلك والأستاذ لا يزال مندفعاً فى إرشاداته دون أن أستمع إليه. وأخيراً عز على أن أتركه يكلم نفسه فالتفت إليه وقلت له: لا تتعب نفسك لأننى أنا غير راضية عن طرق تعليمك لغة العربية بمقدار عدم رضائك عن طرقي وقد أكون على حق وقد تكون أنت على باطل ولا بد أن يكون بينى وبينك حكم يفهم تلك اللغة. أما هذه الناظرة فلا يمكن أن تكون ذلك الحكم وهى تجهلها تماماً.

قلت ذلك ثم ترجمته للناظرة فساءها ذلك وقالت: إذن ماذا أصنع فى إرشادك؟ قلت: لهؤلاء المعلمين أن يكتبوا تقريراً بالإرشادات التى يريدونها وسأرد عليهم أنا ويرفع تقريرهم وتقريرى إلى الوزارة فتتخذ الوزارة ما ترى بشأن التقريرين.

طلبت الناظرة من المعلمين ذلك فرفضوا كتابة التقرير لأنهم فى ذلك الوقت لا يحسنون فن الإنشاء وكل معلوماتهم فى اللغة العربية كانت تنحصر فى نبوغهم فى الإبدال والإعلال، فهم يعرفون أن سار أصلها "سير" ولكنهم لا يعرفون الفرق بين سار وصار وثار، ولهذا لم يستطع أحد منهم أن يتقدم بكتابة ذلك التقرير. وأرادت الناظرة إحراجى، والحق مع القوة لا مع الممول. فطلبت منى أن أكتب أنا التقرير فقلت: يا سيدتى إنى لم أنتقد طرق هؤلاء الرجال، ولا يهمنى ذلك الانتقاد، فكيف أكتب تقريراً فى حالة لم أنتقدها، ولم أطلب تغييرها وهى طريقة تدريسهم وإن كانت فى نظرى عقيمة؟ قالت: دعك من تلك الفلسفة وأمامك أمران لا ثالث لهما: إما أن تكتبى التقرير وإما أن تتبعى إرشادات المعلمين.

أضطررت أن أكتب التقرير وأمرى لله، وكان تقريراً موفقاً فقد شرحت فيه تلك الطريقة التى كان يستعملها أساتذة اللغة العربية فلا يهتمون بالإنشاء ولا يفهم العبارات بل يهتمون بأمور لا قيمة لها من أبواب الصرف التى لم أشعر إلى الآن أن لها فائدة فيما كتبه وما ساكتبه أى أنها لا تقيد التلميذ أية فائدة فى فن الإنشاء بل هى علل خلو من كل شىء حتى من المنطق الصحيح فقد كان التلميذ يجهل معانى الكلمات فلا يعرف معانيها ولكن الأستاذ يعلمه أصولها أى أجدادها القدماء فيقول له إن كاد أصلها كيد وهو نفسه لا يفهم الفرق بين كاد وقاد ولا كيف تستعمل الكلمتان، وهو يعرف أصلهما قبل أن يعرفهما.

هذا فضلاً عن أن المنطق الذى يذكر فى تلك العلل منطق سخيف لا يستقيم له معنى. فيشرح الأستاذ أن اض استثقلت فيها الضمة على الياء فحذفت الضمة والتقى ساكنان التوين والياء فحذفت الياء للتخلص من التقاء الساكنين، على أن نبى لم تستثقل فيها الضمة على الياء وبقيت كما هى، وفى هذا الكلام خطأ منطقي إذ يفهم منه أن كل ياء تستثقل عليها الضمة مع أن الضمة هنا لم تستثقل إلا لانتقال النطق من

بحسب الآن؟ أليس ذلك هو السخف كله؟

هكذا انتقدت طرق مدرسي اللغة العربية وطلبت أن يعنى المدرسون بالمعاني والأساليب واستعمال الكلمات فى مواضعها بدلاً من صرف الوقت فى شرح تلك العلل السخيفة. وكان ناظر المعارف فى ذلك الوقت المغفور له سعد باشا زغلول، وما كاد يطلع على التقرير حتى سر به سروراً عظيماً وطبعه ووزعه على مدارس البنات ومعه خطاب دورى يقول فيه:

"جاء هذا التقرير من السيدة نبوية موسى (وقد كنا فى ذلك الوقت لا نقول آنسة) فترسله إليكم رجاء اتباعه فى مدرستكم" وزع هذا التقرير على جميع مدارس البنات ومن ضمنها مدرسة عباس التى كنت موظفة بها. وقد دهشت الناظرة وجن جنونها عند اطلاعها عليه. فأحضرتنى وقالت: ما هذا؟ لقد كان هؤلاء يدرسون قبل أن تولدى أنت. فكيف تصححين لهم طرقهم؟ قلت: لا غرابة فى ذلك يا سيدتى فقد درست أنا بهذه المدرسة فى العام الماضى وكانت نتائجى فى التدريس محمودة وكنت أنت راضية عنى. وها هو رضاؤك فى هذا العام قد انقلب سخطاً. أى أننى لما درست عاماً جهلت ما كنت أدرسه فى العام الأول فلم أستطع إرضاءك بقدر ما أرضيتك فى أول تدريسى، إذا قست ذلك علمت أنهم الآن لا يعرفون شيئاً مادام الإنسان فى عام واحد ينقص كل هذا النقص أى يرجع إلى الوراء. فما بالك بهم وقد درسوا ما يزيد عن عشرين عاماً؟! قالت: هكذا أنت لا تصلحين إلا فى الفلسفة.

اضطرت الناظرة أن تؤجل الحرب التى بينى وبينها مؤقتاً وتتظاهر بالرضاء عنى ولكنها كانت تسر لى ضد ما كانت تظهر.

كسر إلى ضم، وقد لا يكون ذلك السبب، فكثيراً ما تجدنا قد انتقلنا فى نطقنا من كسر إلى ضم ولا ضمير فى ذلك كوجود وغير ذلك.

فتلك العلل النحوية لم تكن تستقيم مع المنطق حتى يتعلم منها التلميذ حسن التعليل ولم تكن تفيده كثيراً فى الكتابة. وكان يكفى أن يشرح المعلم الأسماء الناقصة ثم يقول للتلاميذ فى بساطة إن ياءها تحذف فى حالتى الرفع والجر، وتبقى فى حالة النصب ولا داعى إلى ذلك الخطأ المنطقى المرذول فى تعليل ما ليس له تعليل.

ومن تلك العلل قولهم نظرت إلى كتابى. كتاب مجرور بإلى وعلامة جره كسرة مقدره على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة. سلسلة من أخطاء منطقية لا يفهمها والحمد لله إلا أولئك الشيوخ فحركة المناسبة التى يقولون أنها منعت ظهور الحركة الأصلية هى الكسرة، وهى ليست حركة مناسبة فى الواقع فكثيراً ما تسبق الياء بحرف مفتوح كهيئة. فلا معنى إذن لحركة المناسبة هذه أى مناسبة الياء على أننا نقول كتابى محمد بفتح الباء ونترك المناسبة وأمرها لله.

هذا الخطأ الأول أما الخطأ الثانى فكيف بريك تنوب الكسرة عن الكسرة لأن حركة هذا الاسم هى الكسرة إذ هو مجرور بإلى وحركة المناسبة هى الكسرة فهل يستطيع إنسان يعقل أن يقول إن الكسرة تمنع الكسرة عن الظهور لتظهر هى؟

ومن هذا نعلم أن قولهم منع من ظهورها أى الكسرة اشتغال المحل بحركة المناسبة غير معقول بالمرة. وما قال أحد إن إنساناً يشتغل بالصلاة عن الصلاة فكيف اشتغل ذلك المحل بالكسرة عن الكسرة؟

إنهم لو أصابوا لقالوا إن ياء المتكلم المضافة إلى الأسماء تسبق دائماً بالكسر هكذا نطقت العرب تلك اللغة ولا معنى لإيراد علل غير منطقية.

كذلك شرحت فى ذلك التقرير قولهم نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها فتحركت الواو بحسب الأصل وانفتح ما قبلها بحسب الآن فقلبت ألفاً كاستطال. وتعجبت فى تقريرى هذا كيف تكون الحركة الواحدة على الواو حركتين تتحرك بها الواو بحسب الأصل كما يتحرك الساكن قبلها بحسب الآن. وهل إذا كان مع الإنسان ألف جنييه وسرقها لص، يجوز له أن يشتري منزلاً بحسب الأصل كما يشتري اللص بها منزلاً